

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .
أما بعد ..

الحديث الثاني

[عن عمر رضي الله عنه أيضاً قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال: صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة ، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها ، قال: أن تلد الأمة ربّتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال: يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .. رواه مسلم]

الشرح..

هذا الحديث هو الحديث الثاني من الأربعين للإمام النووي رحمه الله تعالى ، وهو حديث معدود في جوامع كلم النبي عليه الصلاة والسلام ، ومعدود في الأحاديث التي عليها مدار الدين ، بل إن هذا الحديث جمع الدين كله بمراتبه الثلاثة الإسلام والإيمان والإحسان ، ويبيّن في هذا الحديث العظيم حقيقة كل مرتبة من هذه المراتب الثلاثة .

وهذا الحديث العظيم الجامع للدين كله وصفه بعض أهل العلم بأنه أم السنّة لكونه جمع

تفاصيل ما جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، جمع ذلك كله في هذا الحديث بشكل مجمل ، فالحديث أجمل والسنة فُصِّلت ، كما أن فاتحة الكتاب تسمى أم القرآن لأنها أجملت ما احتوى عليه القرآن والقرآن فُصِّل ، فهي أم القرآن لأنها أجملت ما فُصِّل في القرآن الكريم وهذا الحديث سماه بعض أهل العلم أم السنة لكونه أجمل ما فُصِّل في السنة .
ومما يدل على ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال في تمام هذا الحديث " هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " فدل ذلك على أن الحديث فيه تعليم للدين ، ولهذا يُنصح كل مسلم بالعناية بهذا الحديث حفظاً له وفهماً لمعانيه وتحقيقاً لمقتضياته ودلالاته .

قال الشيخ عبد المحسن حفظه الله تعالى :

[الأول : حديث جبريل هذا عن عمر رضي الله عنه انفراد بإخراجه مسلم عن البخاري واتفق على إخراجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، والإمام النووي رحمه الله بدأ أحاديث الأربعين بحديث عمر " إنما الأعمال بالنيات " ، وهو أول حديث في صحيح البخاري ، وثقَّ بحديث عمر في قصة مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أول حديث في صحيح مسلم ، وقد سبقه إلى ذلك الإمام البغوي في كتابيه شرح السنة ومصابيح السنة ؛ فقد افتتحهما بهذين الحديثين . وقد أفردت هذا الحديث بشرح مستقل أوسع من شرحه هنا] .

الشرح..

هذا الحديث هو أول حديث في صحيح الإمام مسلم ، وبدأ الإمام مسلم رحمه الله بهذا الحديث الجامع لأن ما سيأتي في كتابه كله تفصيل لما جُمع وأُجمل في هذا الحديث العظيم المبارك الذي فيه تعليم الدين ؛ فبدأ به رحمه الله كتابه الصحيح ، والإمام البخاري رحمه الله بدأ كتابه الصحيح بحديث " إنما الأعمال بالنيات " ؛ لأن بدأ كل عمل بالنية والأعمال معتبرة بنياتها .
والإمام النووي رحمه الله تعالى أراد بصنيعه هذا أن يجمع بين ما بُدأ به كتاب البخاري الصحيح وما بُدأ به كتاب مسلم الصحيح ، فجعل أول حديث عنده في الأربعين حديث إنما الأعمال بالنيات ، وثاني حديث عنده في الأربعين حديث عمر في قصة مجيء جبريل إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، وهذه الطريقة التي صنعها سبقه إليها الإمام البغوي رحمه الله في كتابين له في الحديث وهما مصابيح السنة وشرح السنة .

[ثانياً : هذا الحديث هو أول حديث في كتاب الإيمان من صحيح مسلم ، وقد حدّث به عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما ، ولتحديثه به قصة ذكرها مسلم بين يدي هذا الحديث بإسناده عن يحيى بن يعمر ؛ قال : إن أول من كان قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين قال أو معتمرين ، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد فاكتفته أنا وصاحبي ، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكلّ الكلام إليّ فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف ؛ قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برأء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال : حدّثني أبي عمر بن الخطاب وساق الحديث من أجل الاستدلال به على الإيمان بالقدر ، وفي هذه القصة: أن ظهور بدعة القدرية كانت في زمن الصحابة في حياة ابن عمر رضي الله عنهما ، وكانت وفاته سنة ثلاث وسبعين هجرية رضي الله عنه، وأن التابعين يرجعون إلى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في معرفة أمور الدين ، وهذا هو الواجب، وهو الرجوع إلى أهل العلم في كل وقت لقول الله عز وجل ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، وأن بدعة القدرية من أقبح البدع وذلك لشدة قول بن عمر رضي الله عنهما فيها ، وأن المفتي عندما يذكر الحكم يذكر معه دليله]

الشرح..

رواية بن عمر لهذا الحديث المشهور عند أهل العلم بحديث جبريل لها قصة ؛ وهي أن نفرأ من أهل العراق سألوه رضي الله عنه وأرضاه عن بدعة القدرية ، وهي بدعة نشأت هناك في العراق ، والمراد ببدعة القدرية إنكارهم للقدر وزعمهم أن الأمور أو الأفعال التي تقع من العباد من إيمان وضده ليست بتقدير الله جل وعلا ، وأن قدرة الله جل وعلا لا دخل لها ولا علاقة لها بأفعال العباد ، فزعموا أن الأمر أنف أي مستأنف ، وأن لا قدر ؛ يعني ليس هناك أمور قدرها الله جل وعلا على العباد ، وهم بهذا يرون أن أفعال العباد مخلوقة للعباد وليست مخلوقة لله - تعالى الله عما يقولون - ، وهذا يعني أن ثمة خالق غير الله وهو الإنسان نفسه بزعمهم هو

الخالق لفعل نفسه ، وهذه بدعة سيئة وقبيحة ، وفيها جحد لقدر الله عز وجل وعدم إيمان بالقدر .

والإيمان ركنٌ من أركان التوحيد ؛ ركن من أركان الإيمان ، ولا توحيد إلا لمن آمن بالقدر كما قال بن عباس رضي الله عنهما : " القدر نظام التوحيد ، فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيدَه " ؛ بمعنى أنه لا يستقيم توحيد عبد إلا إذا آمن بالقدر ، وهؤلاء أنكروا قدر الله سبحانه وتعالى ، فكان من توفيق الله جل وعلا ليحي بن يعمر أنه مع رفيقه حميد بن عبد الرحمن الحميري حج أو اعتمر ، وحرصا في حجهما واعتمارهما أن يسألا أصحاب النبي أو من يلقيه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه البدعة ؛ وهذا فيه فائدة وهي الرجوع إلى أهل العلم ، وكذلك حرص السلف قديماً على استغلال الحج والعمرة على الاستفادة في أمور الدين ، وسؤال أهل العلم ، بل كان بعض السلف يفرح غاية الفرح عندما يأتي وقت الحج لأنه سيلقى فلان وفلان من أهل العلم ؛ سيلقى سفيان الثوري وفلان و فلان من أهل العلم فيفرح بالحج فرحا عظيما لأنه سيلقى أهل العلم الأكابر فيفيد منهم ويطرح عليهم ما لديه من سؤالات ، فيكون الحج فرصة لتحقيق هذه الطاعة العظيمة - وهي حج بيت الله الحرام- وكذلك فرصة للإفادة في أمور الدين وسؤال أهل العلم ، والحج رابطة إسلامية تجمع المسلمين من شتى البلدان ويلتقون في مكة ويلتقون أيضاً في المدينة لمن تيسر له زيارة مسجد النبي عليه الصلاة والسلام ، وتكون فرصة عظيمة للإفادة في أمور الدين .

يقول يحي بن يعمر : " كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني " .. وهذا من كبار القدرية ومن المؤسسين لبدعتهم

" فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين ، فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر " ..

أي أن حجنا أو اعتمارنا فرصة لنا نلقى فيها واحداً من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فنسأله عن هذه البدعة التي نشأت في منطقتنا وننظر في حقيقة هذا الأمر ، وهذا فيه الرجوع إلى أهل العلم ، والله يقول ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، ولا يزال الناس بخير ما رجعوا إلى الأكابر من أهل العلم ، أهل الفقه والبصيرة في دين الله تبارك وتعالى ؛ لأن أهل العلم هم بإذن الله تبارك وتعالى صمام الأمان للأمة إذا رجعوا إليهم ، وإذا عولوا على فتاويهم وإذا أخذوا عنهم فلا يزال الناس بخير ما رجعوا لأهل العلم أهل الفقه والبصيرة في دين الله تبارك

وتعالى .

" فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر "

... أي عن بدعة القدر التي أنشأها هؤلاء ؛ وهي إنكارهم للقدر وزعمهم أن لا قدر

قال : " فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما داخلاً المسجد " ...

المسجد جامع الخير وكم من صلاح وفقه ودين وزوال إشكال تحقق للمسلمين في المساجد - بيوت الله- ، فالمساجد جوامع خير وعلم وإيمان وفقه في دين الله تبارك وتعالى ، وليست المساجد لإقام الصلاة فقط ؛ بل المساجد للصلاة وذكر الله تبارك وتعالى والفقه في دين الله وعقد الحلق العلمية والدروس الفقهية التي يبصر فيها الناس بدينهم وطاعتهم لربهم تبارك وتعالى ، وفيها يوعظ الناس ويذكرون ويوصون بالخير ، وفي المساجد يكون الفقه في الدين وسؤال أهل العلم ، هذه رسالة المسجد ﴿ فِي بُيُوتِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾
" فاكنته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله " .. أي أحطنا به ؛ أنا عن يمينه وهو عن شماله أو العكس .

" فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ " .. أي ظننت أن صاحبي يرغب أن أبدأ أنا بالكلام ؛ فبدأت .

" يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا - أي في العراق - ناسٌ يقرأون القرآن ويتقفرون العلم " : وهذه مقدمة لبيان حال أصحاب هذه البدعة ، وأنهم أناس ممن يقرأون القرآن ، وكذلك ممن يدعون العلم والفقه في دين الله تبارك وتعالى ؛ يعني ليسوا من العوام بل هم أناس يقرأون القرآن وأيضاً يتظاهرون بالعلم ، ويدعون العلم ، وذكر من شأنهم . يعني ذكر أوصافاً لهم . وهذا فيه أن صاحب البدعة قد تكون حاله فيما يظهر للناس حال صلاح ؛ فيتظاهر بالعبادة ويتظاهر بالعلم وبالتواضع حتى تنفق بدعته عند الناس

وأذكر أنني قرأت لبعض المعتزلة . أصحاب هذه البدعة . أحد شيوخ هؤلاء يوصي تلميذه لما درس على يديه الاعتزال قال : لا تنشر شيئاً مما قلت لك ولكن الزم سارية المسجد سنة ثم بعد ذلك انشره ؛ إذا لزم سارية المسجد سنة ، والناس لسنة كاملة يرونه متكئاً على السارية في المسجد كلما دخلوا رأوه ، ثم بدأ يحدثهم رُبما اطمأنت نفوسهم لكلامه لِمَا يظهر لهم من صلاحه ومن عبادته ولزومه للمسجد ؛ ولهذا عدد من أهل البدع يظهر عليهم الصلاح في العبادة وفي الصلاة وفي التنسك وفي التواضع وفي الزهد وفي جوانب معينة لكن بداخله عنده بدعة أو

بدع يريد نشرها في الأمة وتوريط الناس بها وإدخالها في عقول الناس ، فهو مقتنع بها ويريد إقناع الآخرين ؛ فيجعل لإقناع الآخرين من التظاهر بالتنسك والزهادة ونحو ذلك وسيلة له لنشر بدعته ، وربما يكون فعلاً عابداً معني بالعبادة ليس متظاهراً لكنه في باب الاعتقاد فاسد ينتحل عقيدة فاسدة ، ومن كان ينتحل عقيدة فاسدة لن ينفق إلا مما عنده ؛ لأن كلاً ينفق مما عنده ؛ فإذا كان ينتحل عقيدة فاسدة لن ينفق للناس ولن ينشر بينهم إلا اعتقاده الفاسد الذي هو عليه ، وكم من أناس وأناس اغتروا بسبب أن من تلقوا عنهم البدعة مشهورون بالعبادة والزهادة والتواضع، ومشهورون بالمعاملة الجيدة ؛ فتنشر بسبب ذلك بدعاً وضلالات ؛ ولهذا قدم يحيى بهذه المقدمة قال : " **يقرأون القرآن ويتقفرون العلم** " ، والنبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر بدعة الخوارج قال مخاطباً أصحابه : " تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وعبادتكم إلى عبادتهم وقراءتكم إلى قراءتهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم " فوصفهم بالعبادة وبتلاوة القرآن والعناية به ومع ذلك ذمهم عليه الصلاة والسلام أشد الذم بل قال عليه الصلاة والسلام " لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد " ، ووصفهم بصفات شديدة قال : " يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة " .

فالشاهد أن أرباب البدع يدخلون على الناس من خلال مداخل عديدة منها تفقُّر العلم والتظاهر بالزهد والعبادة والمعاملة الطيبة ونحو ذلك إلى أن تنفق بدعتهم وتروج بين العوام والجهال .

قال " **وذكر من شأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف** " ..

" **أن لا قدر** " .. أي أن الأمور ليست بقدر الله ولم يقدرها الله سبحانه وتعالى .

وجحد القدر كفر بالله لا تنفع معه لا تلاوة قرآن ولا صلاة ولا صيام ولا حج

ابن عباس رضي الله عنهما قال: " الإيمان بالقدر نظام التوحيد " يعني لا ينتظم التوحيد إلا بالإيمان بالقدر " فمن وحّد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيدَه " أي لا يكون موحداً من كان جاحداً للقدر

فهؤلاء زعموا أن لا قدر وأن الأمر أنف ؛ ما معنى أن الأمر أنف ؟ أي أن الأمور والأفعال التي يقوم بها العباد هي مستأنفة لم تقدر سابقاً ، ولم تكتب سابقاً .. معنى أنف : أي أنها لم تقدر سابقاً ولم تكتب على العباد . قوله تعالى ﴿ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

وقول النبي عليه الصلاة والسلام " إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض " وقوله جل وعلا ﴿ ثُمَّ جِئْت عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾، ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾، ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿ ؛ كل ذلكم لا غ عند هؤلاء ولا حقيقة له ولا أصل ، والأمور عندهم مستأنفة لم تقدّر ، فليس هناك تقدير سابق ولا كتابة سابقة .

قال ابن عمر لما ذكروا له هذه البدعة " قال : إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني " .. لأن بن عمر رضي الله عنهما يدين بالدين الحق المستمد من كتاب الله جل وعلا وفيه الإيمان بالقدر ، وهؤلاء يدينون بدين باطل أملتهم عليه عقولهم الفاسدة وأهوائهم المنحرفة .

" والذي يحلف به عبد الله بن عمر " .. أي الله سبحانه وتعالى ، والصحابة والسلف عموماً لا يحلفون إلا بالله عملاً بالأحاديث المتكاثرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمرة بذلك " من كان حالفاً فليحلف بالله " ، وقال: " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " ، وقال: " لا تحلفوا بأبائكم ولا أمهاتكم " ، وقال " من حلف بالأمانة فليس منا " ، الحلف لا يكون إلا بالله سبحانه وتعالى لا يحلف لا بالأنبياء ولا بالملائكة ولا الصالحين ؛ ولهذا قال عبد الله بن عمر "والذي يحلف به عبد الله بن عمر" أي الله سبحانه وتعالى .

" لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر " .. أي لو كان لأحد هؤلاء من الذهب بما يماثل جبل أحد و هو جبل كبير عظيم يقع شمال المدينة وعنده وقعت غزوة أو معركة بدر، هذا الجبل لو أن أحد هؤلاء ملك من الذهب بما يزن جبل أحد وأنفقه في سبيل الله وابتغاء وجه الله ما قبل الله منه شيء من هذه النفقة لماذا ؟ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبِلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

فالكفر مبطل للأعمال ومحبط لها ؛ لا يقبل الله سبحانه وتعالى ممن كفر أي عمل ؛ لا صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا نفقة ولا شيء من ذلك فالأعمال كلها تكون باطلة ليست مقبولة " حتى يؤمن بالقدر " .

ثم روى حديث جبريل بتمامه ؛ ساق الحديث بتمامه من أجل جملة في الحديث وهي قول النبي عليه الصلاة والسلام " وأن تؤمن بالقدر خيره وشره " ؛ فعَدَّ عليه الصلاة والسلام الإيمان بالقدر ركناً من أركان الإيمان ؛ حيث بين عليه الصلاة والسلام أن الإيمان يقوم على أركان ستة منها الإيمان بالقدر ، ومن لم يؤمن بالقدر فهو كافر بالله سبحانه وتعالى لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

وهذه القصة فيها أن ظهور بدعة القدرية كان في أواخر زمن الصحابة ، أدرك نشأة هذه البدعة الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الذي كانت وفاته عام ٧٣ هـ ، فهذا فيه أن البدعة نشأت في وقت مبكر في أواخر زمن الصحابة ، وكذلك بدعة الخوارج وبدع أخرى نشأت في أواخر زمن الصحابة رضي الله عنهم فأنكروا تلك البدع أشد الإنكار، وشنعوا على أصحابها ، وبينوا مخالفتهم لدين الله ، واستدلوا على بيان مخالفات هؤلاء من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

ومن فوائد ما سبق أهمية الرجوع إلى أهل العلم الراسخين دون غيرهم ، ولا يزال الناس بخير ما رجعوا إلى أهل العلم الأكابر ، وإذا رجع المسلم أو من عنده إشكال إلى أهل العلم الأكابر أزالوا عنه الشبهة بإذن الله وأبانوا له السبيل ، أما إذا سأل مَنْ ليس من أهل العلم الراسخين فيه ؛ ربما مَكَّنَ للبدعة عنده ، أو ربما جرَّه إلى بدعة أخرى فنقله من ضلال إلى ضلال ومن باطل إلى باطل ، والواجب على المسلمين كافة أن يكون رجوعهم إلى أهل العلم الأكابر .

قال حفظه الله تعالى :

[ثالثاً : في حديث جبريل دليل على أن الملائكة تأتي إلى البشر على شكل البشر ، ومثل ذلك ما جاء في القرآن من مجيء جبريل إلى مريم في صورة بشر ، ومجيء الملائكة إلى إبراهيم ولوط في سورة بشر ، وهم يتحولون بقدره الله عز وجل عن الهيئة التي خلقوا عليها على هيئة البشر ، قد قال الله عز وجل في خلق الملائكة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ ، وفي صحيح البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل و له ستمائة جناح] .

الشرح..

هذا الحديث ؛ حديث جبريل من فوائده أن الملائكة تأتي إلى الأنبياء على هيئة البشر ؛ أي أن الملك الذي خلقه وجسمه كبير وعظيم كما في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل على صورته الحقيقية له ستمائة جناح قد سد الأفق ؛ هذا الملك كان يأتي على صورة أعرابي . رجل . ؛ الجسم الضخم الكبير يتحول إلى جسم صغير بقدره الله سبحانه وتعالى ؛ الجسم الكبير الذي يسد الأفق و له ستمائة جناح بقدره الله جلّ وعلا يتحوّل إلى جسم صغير

جسم إنسان وهنا نذكر قول الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

فالحديث يفيد ذلك وجبريل هذه المرة جاء على صورة رجل في الحديث " بين نحن جلوس عند رسول الله إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يظهر عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد " .. جاء على هيئة رجل ووصفته أنه شديد بياض الثياب وشديد سواد الشعر ، وفي الوقت نفسه غير معروف ليس من أهل البلد ، ولا يرى عليه أثر السفر ، وهذا في زمانه يعتبر في غاية الغرابة لأن القادم من سفر معروف بهيئته لأن الشمس قد أثرت فيه والرياح أثرت فيه والسفر الطويل في البراري والصحراء أثر فيه ؛ فيأتي بصورة معروفة عند الناس ، بينما في زماننا يأتي الرجل من أقصى الدنيا ولا يُرى عليه أثر السفر؛ ففي زماننا ليس غريباً أما في زمانهم فيعتبر غريباً لأن السفر قد يكون من الشام شهر كامل إلى المدينة ويتعرض خلال ذلك إلى وهج الرياح والشمس والصحراء وتقلبات الجو فيأتي ويرى عليه أثر السفر؛ يُرى عليه الغبار وأثر الشمس .

والشاهد أن الله جل وعلا أعطى الملائكة قدرة على التشكل ففي قصة مريم ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ أي جبريل أي جاءها على مثل وهيئة البشر ، والله سبحانه وتعالى أقدر الملائكة على ذلك ومكّتهم من ذلك ، والقرآن دل على ذلك ودلت عليه أيضاً سنة النبي صلى الله عليه وسلم . والأضياف الذين جاءوا إبراهيم الخليل عليه السلام جاءوه على هيئة بشر ، فالله جل وعلا أقدر الملائكة على ذلك .

قال : [رابعاً: في مجيء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلوسه بين يديه بيان شيء من آداب طلبه العلم عند المعلم وأن السائل لا يقتصر سؤاله على أمور يجهل حكمها ؛ بل ينبغي له أن يسأل غيره وهو عالم بالحكم ليسمع الحاضرون الجواب ؛ ولهذا نسب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث التعليل حيث قال : " فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " .

والتعليم حاصل من النبي صلى الله عليه وسلم لأنه المباشر له ، ومضاف إلى جبريل لكونه المتسبب فيه . [

الشرح..

من فوائد حديث جبريل .. الأدب الذي ينبغي أن يكون عليه طالب العلم في طلب العلم ، في جلوسه عند العالم الذي يُفقهه في دين الله تبارك وتعالى ؛ ففيه إرشاد إلى ما ينبغي أن يكون

عليه طالب العلم من الأدب في طلبه للعلم ؛ هذا جانب .

والجانب الآخر أن السائل ليس من شرطه أن يكون يسأل عما لا يعلم ؛ بل يحسن بالسائل أن يسأل عما لا يعلمه كثيرٌ من الحاضرون ؛ فيسأل ليفقههم في الدين ، وهذه طريقة شرعية صحيحة ؛ إذا كنت بحضرة عالم وتعلم أن عددًا من الحاضرين لديهم تقصير في الصلاة مثلا وتهاون بها أو تهاون في شروطها وواجباتها أو عدم المحافظة على وقتها ، ثم طرحت على العالم سؤالاً تعلم جوابه لكنك تريد أن يستفيد الحاضرون ويتعلموا دينهم ؛ فقلت : لدي سؤال عن الصلاة : ما حكم كذا وكذا و كذا أريد جوابًا مفصلا ، وبدأ العالم يفصل أموراً ...

فهذا السؤال من الأسئلة النافعة جداً التي ينبغي أن يُحرص عليها ، بخلاف الأسئلة التي النوايا فيها ليست صحيحة ؛ فأحياناً بعض الناس يسأل ليشوّش على الحاضرين والعياذ بالله ، أو يسأل ليثير شبهة في الحاضرين ، أو يسأل ليبرز نفسه أو يظهر نفسه لدى الحاضرين ، أو يسأل ليحرج من أمامه ومن يريد سؤاله ، أو غير ذلك ، والسؤال لا يكون صالحاً إلا إذا قصد به السائل نفع نفسه ونفع الآخرين كما جاء في حديث وفد عبد القيس قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام : " مُرنا بقول فصل نخبر به من ورائنا وندخل به الجنة " فهذا يبين أن السؤال لا يكون صالحاً إلا إذا أراد به أو نوى به صاحبه هذه النية المباركة ؛ أن يدخل هو به الجنة وأن يكون سبباً لصلاح الآخرين ؛ ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله : " العلم لا يعدله شيء إذا صلحت النيّة قيل وما صلاحها قال أن تنوي به رفع الجهل عن نفسك وعن غيرك "

جبريل في هذا الحديث وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أتاهم يعلمهم دينهم ، مع أن جبريل لم يحصل منه مباشرة للتعليم ، وإنما حصل له فقط سؤالات وجهها النبي عليه الصلاة والسلام ومع ذلك وصفه النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتى يُعَلِّم الناس دينهم ، وهذا يستفاد منه أن من طرح سؤالاً على عالم ومراده من ذلك أن يفقه الناس من دين الله تبارك وتعالى ما يجهلونه أو ما هم مفرطون فيه ؛ فإن هذا السائل يثاب ثواب من يعلم الناس دينهم ؛ لأن العالم تعليمه للناس بمباشرة التعليم ، وهذا تعليمه للناس بالتسبب في التعليم ، والدال على الخير كفاعله كما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام ؛ فقد يكون تعليم الناس بمباشرة التعليم وقد يكون تعليمهم بالتسبب وإذا تسببت في تعلم الناس فلك أجر من علّمهم وهذا فضل الله سبحانه وتعالى ، وعليه من لم يكن عالماً يتمكن من تعليم الناس وإن لم يكن عالماً ، مثلاً لو طلبت من طالب علم متمكن في بلدك

أن يعقد لكم درساً في مسجداًكم تدرسون الأربعين للنووي أو غيره من كتب أهل العلم ،
وألححت عليه في ذلك وبينت له حاجة الناس ووافق ، وبدأ يحضّر ويعد ويراجع ويُعلّم ويُفقه
.. فكل ذلك يُكتب لك ، وأنت لم يحصل لك من الجهد إلا الطلب منه في بداية الأمر ؛
كل الجهد الذي يبذله يكون لك مثل أجره ؛ الدال على الخير كفاعله .. أي كفاعله الخير .
ولهذا تعليم الناس قد يكون بالمباشرة وهذا لا يكون إلا من العالم ويكون بالتسبب وهو من
العوام ، العامي من المتيسر له أن يُفقه الناس بالتسبب والتسبب في تفقيه الناس له طرق كثيرة
إما بهذه الطريقة بسؤال العالم في محفل ومجمع للناس حتى يفقهوا دينهم فتتسبب في تعليمهم
دينهم

أو بأن يأخذ العوام إلى حلق العلم ويرغبهم فيها ويحثهم على الجلوس فيها ؛ فهذا علمٌ
بالتسبب .

وكذلك من وسائل التعليم بالتسبب مما هو متهبئ للعامي أن يهدي للناس الكتب والأشرطة
النافعة والمفيدة التي تفقههم في دين الله .

فالعامي الذي لا فقه عنده في دين الله أن يكون معلماً للناس بالتسبب ، ولا يجوز للعامي أن
يتصدر لتعليم الناس وتفقيهم وهو لا علم له في دين الله تبارك وتعالى .

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلّ وسلّم
على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

..*